بسم الله الرحمن الرحيم

الأحد 22/12/2013 الشيخ الطبيب محمد خير الشعَّال

أبواب الفرج

الصبر

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة، وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً وعملاً متقبلاً يا أكرم الأكرمين. أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه. نسألك علم الخائفين منك، وخوف العالمين بك.. وبعد:

هذا درس جديد في سلسلة دروس **أبواب الفرج**، ونحن نسأل الله تعالى ببركة عملنا بها أن يُعجِّل لنا بالفرج وأن يجعله محفوفاً بألطافه الخفية.

إذا نزلت بالعبد نازلة أو حلت به شدة أو أحاطت به مصيبة وبلية ينبغي عليه أن يقرع باب سيده رب العالمين –جل جلاله– وقد جعل الله لنا أبواباً للفرج يُطلب من كل واحد منا فرداً كان أو أسرة أو مجتمعاً أن يقرع هذه الأبواب، وأحسننا من قرع الأبواب كلها فإذا لم يستطع فبأكثرها، فإن لم يستطع فببعضها وعلى أقل تقدير أن يقرع باباً من هذه الأبواب.

بابنا في هذا اليوم تحت عنوان **الصبر**.

الصبر باب من أبواب الفرج ودليله قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: 90].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: **أُهْدِيَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَغْلَةً أَهْدَاهَا لَهُ كِسْرَى، فَرَكِبَهَا بِحَبْلٍ مِنْ شَعْرٍ، ثُمَّ أَرْدَفَنِي خَلْفَهُ، ثُمَّ سَارَ بِي مَلِيًّا، ثُمَّ الْتَفَتَ فَقَالَ: «يَا غُلَامُ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعَرَّفْ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ، وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، قَدْ مَضَى الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ، فَلَوْ جَهَدَ النَّاسُ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِمَا لَمْ يَقْضِهِ اللَّهُ لَكَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَلَوْ جَهَدَ النَّاسَ أَنْ يَضُرُّوكَ بِمَا لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ عَلَيْكَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَعْمَلَ بِالصَّبْرِ مَعَ الْيَقِينِ**

فَافْعَلْ، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَاصْبِرْ، فَإِنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُهُ خَيْرًا كَثِيرًا، وَاعْلَمْ أَنَّ مَعَ الصَّبْرِ النَّصْرَ، وَاعْلَمْ أَنَّ مَعَ الْكَرْبِ الْفَرَجِ، وَاعْلَمْ أَنَّ مَعَ الْعُسْرِ الْيُسَرَ» [الحاكم].

قرأت سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الوقت فلاحظت أمراً عجيباً فيها وهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاش في الدعوة ثلاثاً وعشرين سنة قضاها كلها في أزمة، وكان النبي صلى الله عليه وسلم في كل هذه السنوات صابراً محتسباً يلاقي الأزمة بالصبر، وبحبس النفس على ما يكره جامعاً الصبر إلى التقوى فكان أن حُفِظَ اسمه الشريف صلى الله عليه وسلم في هذه الأرض كلما ذُكِرَ يقول كل المسلمين صلى الله عليه وسلم، وكلما ذُكِرَ أو لم يُذْكَرْ صلَّت عليه ملائكة الله عز وجل.

- في اليوم الأولى من لحظة ﴿اقْرَأْ﴾ نزل إلى السيدة خديجة يرتعد وهو يقول زملوني.

- في السنة الثانية للبعثة وبعد سماع قريش بدين رسول الله صلى الله عليه وسلم بدأ التخطيط لمنع دينه الجديد.

- في السنة الثالثة للبعثة بدأ العذاب لمن اعتنق الدين الجديد من الصحابة.

- في السنة الربعة للبعثة تم إعلان الدعوة وأول من عاداه كان عمه أبو لهب بقوله: (تباً لك ألهذا جمعتنا).

عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ: (**أَسْلَمَ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانِ سِنِينَ، وَهَاجَرَ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانَ عَشْرَةَ سَنَةً، وَكَانَ عَمُّ الزُّبَيْرِ يُعَلِّقُ الزُّبَيْرَ فِي حَصِيرٍ، وَيُدَخِّنُ عَلَيْهِ بِالنَّارِ، وَيَقُولُ: ارْجِعْ إِلَى الْكُفْرِ، فَيَقُولُ الزُّبَيْرُ: لَا أَكْفُرُ أَبَدًا**) [الحاكم والطبراني].

(**وكان أمية بن خلف يخرج بلالاً إذا حميت الظهيرة، فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول له: لا والله لا تزال هكذا حتى تموت، أو تكفر بمحمد، وتعبد اللات والعزى، فيقول وهو في ذلك البلاء: أحد.. أحد**) [سيرة ابن هشام].

- في السنة الخامسة للبعثة أذن لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجرة إلى الحبشة وفيها من القسوة والألم.

- في نهاية السنة السادسة ومطلع السابعة كانت الهجرة الثانية للحبشة.

– في السنة الثامنة والتاسعة والعاشرة للبعثة ضَرَبت قريش حصاراً على المسلمين في شعب أبي طالب فلا بائع لهم ولا شاري منهم، ولا يتزوج منهم أحد أو يزوجهم، ولا يقدم لهم أي مساعدة حتى سُمِعَ صوت بكاء أطفالهم خارج الشعب، وجعلوا يأكلون أوراق الشجر.

– في السنة الحادية عشرة والثانية عشرة بدأت الهجرة إلى المدينة المنورة.

– في السنة الثالثة عشر قررت قريش أن تقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم بجمع أربعين شاباً ليضربوه ضربة رجل واحد فيضيع دمه بين القبائل.

وتلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم كل هذه الأزمة والشدة والبلاء بالصبر، والانضباط بتقوى الله تعالى.

الصبر: هو حبس النفس على ما تكره ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: 35].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 200].

صابر: مبالغة بالصبر أي اصبر صبراً شديداً.

في حادثة الهجرة أخبر سيدُنا جبريلُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بمؤامرة قريش على واتفاقهم على قتله.

((**لما أتى سيدنا جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: لا تَبِتْ هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه. قال: فلما كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه متى ينام، فَيَثِبُوْنَ عليه، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانهم، قال لعلي بن أبي طالب: نم على فراشي وتسج ببردي هذا الحضرمي الأخضر، فنم فيه، فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينام في برده ذلك إذا نام**)) [سيرة ابن هشام].

فلو لم يكن حب الله ورسوله في قلب سيدنا علي أكبر من حب أي شيء لما جلس تلك الجلسة، وترى أحدهم اليوم يَدَّعِي حُبَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وإذا ما قلت له صل ركعتين سُنَّةً تثاقل عنهما، وربما عن الفرض أيضاً.

– ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم بلده التي نشأ بها.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ الْحَمْرَاءَ الزُّهْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: **رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِالْحَزْوَرَةِ، يَقُولُ:** «وَاللَّهِ إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ، وَلَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ» [الإمام أحمد والحاكم].

- وفي السنة الثانية للهجرة قامت غزوة بدر.
- وفي السنة الثالثة قامت غزوة أحد.
- وفي السنة الرابعة غزوة بني النضير.
- وفي السنة الخامسة غزوة الخندق.
- وفي السنة السادسة غزوة خيبر.
- وفي السنة السابعة عمرة القضاء.
- وفي السنة الثامنة غزوة مؤته.
- وفي السنة التاسعة حج أبو بكر بالناس.
- وفي السنة العاشرة انتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى.

فحياة رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت كلها أزمات، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت على الحق مع أصحابه، ملتزم أمر الله منضبط به.

في هذه الأزمة والشدة على كل أخ منا أن يصبر على أوامر الله، فقد يخطر على قلب شاب خاطر ليأكل الحرام بسبب ضيقه، وترى فتاة تريد أن تفعل أي شيء مقابل المال، وترى الزوج يتخلى عن زوجه وأولاده مقابل أن يهرب من المسؤولية، وترى زوجة لا تطيع الزوجة زوجها لأنه قليل ذات اليد في وقت الأزمة... فكل من حافظ على الانضباط بأوامر الله ونواهيه وصبر واحتسب فإن الله يقول: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ .

ما ضاع أجر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والصحابة حوله، لكن من ضيع أوامر الله ضيعه الله.

ألف الإمام البيهقي كتاباً من سبع مجلدات سماه (**شعب الإيمان**) جمع فيه الإمامُ شعبَ الإيمان مقتبساً ذلك من حديث للنبي صلى الله عليه وسلم.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ -أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ- شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ» [مسلم].

فجعل الإمام البيهقي يأتي بالعنوان ثم يأتي بالآيات والأحاديث والآثار عن الصحابة والتابعين التي وردت فيه، وقد استعرضت الكتاب فلاحظت أمراً عجيباً وهو أن في كلامه عن الصبر كانت الأحاديث المرفوعة للنبي صلى الله عليه وسلم، والموقوفة على الصحابي، والمقطوعة عن التابعين من أكبر أبواب الكتاب، وسأقرأ عليكم شيئاً مما جاء في باب الصبر وقد سماه الإمام **(باب في الصبر على المصائب)**:

قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: 45].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: **جَاءَهُ نَعْيُ بَعْضِ أَهْلِهِ وَهُوَ فِي سَفَرٍ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: (فَعَلْنَا مَا أَمَرَنَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ)**، ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: 45].

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَا مِنْ عَبْدٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَاخْلُفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا آجَرَهُ اللهُ فِي مُصِيبَتِهِ وَأَخْلَفَ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا»، **قَالَتْ: فَلَمَّا تُوُفِّيَ أَبُو سَلَمَةَ قُلْتُ: مَنْ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ صَاحِبِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَتْ: ثُمَّ عَزَمَ اللهُ لِي فَقُلْتُهَا: اللهُمَّ أْجُرْنِي عَنْ مُصِيبَتِي وَاخْلُفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، قَالَتْ: فَتَزَوَّجْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَا لِعَبْدِي إِذَا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا فَصَبَرَ وَاحْتَسَبَ؛ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةَ».

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: **(كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا نَزَلَ بِأَهْلِهِ شِدَّةٌ أَوْ قَالَ: ضِيقٌ أَمَرَهُمْ بِالصَّلَاةِ وَتَلَا:** ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: 132]، الْآيَةُ.

عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنَ قُرَّةَ أَبَا إِيَاسٍ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ, **أَنَّ رَجُلًا كَانَ يَأْتِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ بُنَيٌّ لَهُ , فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَتُحِبُّهُ؟» فَقَالَ: أُحِبُّكَ وَاللهِ كَمَا أُحِبُّهُ. قَالَ: فَفَقَدَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «مَا فَعَلَ بُنَيُّ فُلَانٍ؟» قَالُوا: تُوُفِّيَ يَا رَسُولَ**

اللهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَا يَسُرُّكَ أَنَّهُ كُلَّمَا أَتَيْتَ بَابًا مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ تَسْتَفْتِحْهُ يَسْعَى حَتَّى يَفْتَحَ لَكَ؟» فَقَالَ رَجُلٌ: أَلَهُ خَاصَّةً أَمْ لَنَا كُلَّنَا؟ فَقَالَ: «لَكُمْ كُلُّكُمْ».

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُوْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُوعَكُ, فَوَضَعْتُ يَدِي عَلَيْهِ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ, إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا. فَقَالَ: «إِنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ» قَالَ: قُلْتُ: ذَلِكَ بِأَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ؟ قَالَ: «أَجَلْ. وَمَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى مِنْ مَرَضٍ فَمَا سِوَاهُ إِلَّا حَطَّ اللهُ عَنْهُ مِنْ سَيِّئَاتِهِ كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا».

وهكذا... يذكر الإمام البيهقي أحاديث وآثاراً كثيرة عن الصبر لنبق عندما ينزل بنا بلية أو مصيبة صابرين ملتزمين بالتقوى؛ لأن الصبر مع التقوى والانضباط بشرع الله سبب للفرج وللقرب من حضرة الله تعالى.

وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

والحمد لله رب العالمين.